الفصل الثامن

مستقر الأرواح عند ابن قيم الجوزية

ولد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر أيوب بن سعد بن حريز الزرعى الدمشقى المعروف بابن القيم الجوزية الحنبلى عام ٦١٩هـ. ولازم الشيخ تقى الدين ابن تيمية وأخذ عنه، وتفقه على يديه فى كافة علوم الإسلام، وأوذى عدة مرات وحبس مع شيخه ابن تيمية ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ، وحج مرات كثيرة وجاور بمكة وأخذ عنه العلم خلق كثير وانتفعوا به وبعلمه وفضله.

قال عنه ابن حجر فى الدرر الكامنة: غلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شىء من أقواله بل يقتصر عليه فى جميع ذلك، وهو الذى هذب كتبه ونشر علمه، وكان له حظ عند الأمراء المصريين. واعتقل مع ابن تيمية فى القلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبًا بالدرة، فلما مات ابن تيمية أفرج عنه، وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى شيخه، وكان ينال من علماء عصره وينالون منه.

وتوفى ابن قيم الجوزية فى ٧٥١هـ، وصلى عليه بالجامع الأموى ثم بجامع جراح ودفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق، وله مؤلفات وتصانيف كثيرة جدة فى أنواع العلوم، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه واقتناء الكتب[1].

أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة[2]؟

وأما المسألة الخامسة عشرة وهى: أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة؟ هل هى فى السماء أم فى الأرض؟ وهل هى فى الجنة والنار أم لا؟ وهل تودع فى أجساد غير أجسادها التى كانت فيها فتنعم وتعذب فيها أم تكون مجردة؟

---

(١) انظر ترجمته فى المنهل الصافى ص٩٦، وبغية الوعاة ص٢٥، وجلاء العينين ص٢٠، والدرر الكامنة، ٣/ ٤٠٠ – ٤٠، وشذرات الذهب ٦/ ١٦٨ – ١٧٠، والبدر الطالع للشوكانى ٢/ ١٤٣ – ١٤٦.

(٢) كتاب الروح، المرجع السابق، ١١٤.

فهذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها، وهى إنما تتلقى من السمع فقط، واختلف فى ذلك، فقال قائلون: أرواح المؤمنين عند الله فى الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم، وهذا مذهب أبى هريرة وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم.

وقالت طائفة: هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها.

وقالت طائفة: الأرواح على أفنية قبورها.

وقال مالك: بلغنى أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت.

وقال الإمام أحمد فى رواية ابنه عبد الله: أرواح الكفار فى النار. وأرواح المؤمنين فى الجنة.

وقال أبو عبد الله ابن مَنْدَه: وقالت طائفة من الصحابة والتابعين: أرواح المؤمنين عند الله عز وجل، ولم يزيدوا على ذلك، قال: وروى عن جماعة من الصحابة والتابعين أن أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببئرهوت بئر بحضرموت.

وقال صفوان بن عمرو: سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان: هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟ فقال: إن الأرض التى يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[1]. قال: هى الأرض التى يجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث، وقال: هى الأرض التى يورثها الله المؤمنين فى الدنيا، وقال كعب: أرواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة، وأرواح الكفار فى سجين فى الأرض السابعة تحت خد إبليس.

وقالت طائفة: أرواح المؤمنين ببئر زمزم، وأرواح الكفار ببئر هوت.

وقال سلمان الفارسى: أرواح المؤمنين فى برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، وأرواح الكفار فى سجين، وفى لفظ عنه: نسمة المؤمنين تذهب فى الأرض حيث شاءت، وقالت طائفة: أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن شماله.

وقالت طائفة أخرى، منهم ابن حزم: مستقرها حيث كانت خلق أجسادها، قال: والذى نقول به فى مستقر الأرواح هو ما قاله الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم، لا نتعداه، فهو البرهان الواضح، وهو أن الله عز وجل قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

---

(١) الأنبياء: ١٠٥.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

لِآدَمَ﴾[1]. فصح أن الله تعالى خلق الأرواح جملةً، وكذلك أخبر صلى الله عليه وسلم: ((أن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف))[2]، وأخذ الله عهدها وشهادتها له بالربوبية وهى مخلوقة مصورة عاقلة، قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم، وقبل أن يدخلها فى الأجساد يومئذ تراب وماء – ثم أقرها حيث شاء وهو البرزخ الذى ترجع إليه عند الموت، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها فى الأجساد المتولدة من المنى، إلى أن قال: فصح أن الأرواح أجساد حاملة لأعراضها من التعارف والتناكر، وأنها عارفة مميزة فيبلوهم الله فى الدنيا كما يشاء ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذى رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به عند سماء الدنيا أرواح أهل السعادة عن يمين آدم، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره، وذلك عند منقطع العناصر، ويعجل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة.

وقال: وقد ذكر محمد بن نصر المروزى، عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذى قلنا بعينه، قال: وعلى هذا أجمع أهل العلم. قال ابن حزم – وهو قول جميع أهل الإسلام – قال: وهذا هو قول الله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[4] إلى آخرها. فلا تزال الأرواح هنالك حتى يتم عدد الأرواح كلها بنفخها فى الأجساد، ثم برجوعها إلى البرزخ، فتقوم الساعة ويعيد الله عز وجل الأرواح إلى أجسادها ثانية، وهى الحياة الثانية بحاسب الخلق: فريق فى الجنة وفريق فى السعير مخلدين أبدًا، انتهى.

وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء فى الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم، ونحن نذكر كلامه وما احتج به، ونبين ما فيه.

وقال ابن المبارك عن ابن جريج، فيما قرئ عليه عن مجاهد: ليس هى فى الجنة ولكن يأكلون من ثمارها ويجدون ريحها.

وذكر معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد، أنه سأل ابن شهاب عن أرواح المؤمنين فقال: بلغنى أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو وتروح إلى رياض الجنة، تأتى ربها فى كل يوم تسلم عليه.

---

(١) الأعراف: ١١.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الواقعة: ٨ – ١٤.

(٤) الواقعة: ٨٨ – ٨٩.

وقال أبو عمر بن عبد البر فى شرح حديث ابن عمر: ((إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة)).

قال: وقد استدل به من ذهب إلى أن الأرواح على أفنية القبور، وهو أصح ما ذهب إليه فى ذلك. والله أعلم.

الأرواح على أفنية القبور سبعة أيام:

قال: والمعنى عندى أنها قد تكون على أفنية قبورها، لا على أنها تلزم ولا تفارق أفنية القبور، كما قال مالك رحمه الله: إنه بلغنا أن الأرواح تسرح حيث شاءت. قال: وعن مجاهد أنه قال: الأرواح على أفنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارق ذلك. والله أعلم.

وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض، وهذا قول من قول: إن النفس عرض من أعراض البدن كحياته وإدراكه فتعدم بموت البدن، كما تعدم سائر الأعراض المشروطة بحياته، وهذا قول مخالف لنصوص القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين، كما سنذكر ذلك إن شاء الله.

والمقصود: أن عند هذه الفرقة المبطلة أن مستقر الأرواح بعد الموت العدم المحض، وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أرواح أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التى اكتسبتها فى حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الأرواح، فتصير النفس السبعية إلى أبدان السباع، والكلبية إلى أبدان الكلاب والبهيمية إلى أبدان البهائم، والدنية والسفلية إلى أبدان الحشرات، وهذا قول المناسخة منكرى المعاد، وهو قول خارج عن أقوال أهل الإسلام كلهم، فهذا ما تلخص لى من جمع أقوال الناس فى مصير أرواحهم بعد الموت، ولا تظفر به مجموعا فى كتاب واحد غير هذا البتة، ونحن نذكر هذه الأقوال، وما لكل قول وما عليه، وما هو الصواب من ذلك الذى دل عليه الكتاب والسنة على طريقتنا التى من الله بها، وهو مرجو الإعانة والتوفيق.

بيان قول من قال: إن الأرواح فى الجنة:

فأما من قال هى فى الجنة فاحتج بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[1]، قال: وهذا ذكره سبحانه عقيب ذكر خروجها من البدن بالموت، وقسم الأرواح إلى ثلاثة أقسام: (مقربين) وأخبر أنها فى جنة النعيم، (وأصحاب يمين) وحكم لها بالسلام، وهو يتضمن سلامتها من العذاب، و(مكذبة ضالة) وأخبر أن لها نزلًا من حميم وتصلية جحيم، قالوا: وهذا بعد مفارقتها للبدن قطعًا.

---

(١) الواقعة: ٨٨.

وقد ذكر سبحانه حالها يوم القيامة فى أول السورة فذكر حالها بعد الموت، وبعد البعث واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾[1].

وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين: إن هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا يبشرها الملك بذلك ولا ينافى ذلك قول من قال: إن هذا يقال لها فى الآخرة فإنه يقال لها عند الموت، وعند البعث، وهذه من البشرى التى قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2].

وهذا التنزل يكون عند الموت ويكون فى القبر ويكون عند البعث، وأول بشارة الآخرة عند الموت وقد تقدم فى حديث البراء بن عازب: أن الملك يقول لها عند قبضها: أبشرى بروح وريحان، وهذا من ريحان الجنة.

واحتجوا بما رواه مالك فى الموطأ عن أن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك، كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنما نسمة المؤمن طير يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه))[3].

قال أبو عمر: وأما قوله: نسمة المؤمن، فالنسمة هاهنا الروح يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث نفسه ((حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه)).

وقيل: النسمة الروح والنفس والبدن، وأصل هذه اللفظة أعنى النسمة الإنسان بعينه وإنما قيل للروح نسمة والله أعلم؛ لأن حياة الإنسان بروحه، وإذا فارقه عدم أو صار كالمعدوم، والدليل على أن النسمة الإنسان قوله صلى الله عليه وسلم: ((من أعتق نسمة مؤمنة)).

وقول على رضى الله عنه: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة.

وقال الشاعر:

بأعظم منك تقى فى الحساب ... إذا النسمات نَفَّضْنَ الغبارا

يعنى إذا بعث الناس من قبورهم يوم القيامة.

وقال الخليل بن أحمد: النسمة الإنسان، قال: والنسمة الروح، والنسيم: هبوب الريح، وقوله: تعلق فى شجر الجنة: تروى بفتح اللام، وهو الأكثر، وتروى بضم اللام والمعنى واحد،

---

(١) الفجر: ٢٧ - ٣٠.

(٢) فصلت: ٣٠.

(٣) رواه أحمد.

وهو الأكل والرعى، يقول تأكل من ثمار الجنة وتسرح بين أشجارها، والعلوقة والعلوق: الأكل والرعى، تقول العرب: ما ذاق اليوم علوقًا أى طعامًا.

قال الربيع بن زياد يصف الخيل:

ومجنبات ما يذقن علوقة يمصعن بالمهرات والأمهار

وقال الأعشى:

وفلاة كأنها ظهر ترس ليس فيها إلا الرجيع علاق

قلت: ومنه قول عائشة: والنساء إذ ذاك خفاف لم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام، وأصل اللفظة من التعلق، وهو ما يعلق القلب والنفس من الغذاء.

قال: واختلف العلماء فى معنى هذا الحديث فقال قائلون منهم: أرواح المؤمنين عند الله فى الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم. قال: واحتجوا بأن هذا الحديث لم يخص فيه شهيدًا من غير شهيد.

واحتجوا أيضًا بما روى عن أبى هريرة: أن أرواح الأبرار فى عليين، وأرواح الفجار فى سجين.

وعن عبد الله بن عمر مثل ذلك قال أبو عمر: وهذا قول يعارضه من السنة ما لا يدفع فى صحة نقله، وهو قوله: ((إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة)).

وقال آخرون: إنما معنى هذا الحديث فى الشهداء دون غيرهم؛ لأن القرآن والسنة إنما يدلان على ذلك.

أما القرآن فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1].

وأما الآثار فذكر حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، من طريق بقى بن مخلد مرفوعًا: ((الشهداء يغدون ويروحون، ثم يكون مأواهم إلى قناديل معلقة بالعرش، فيقول لهم الرب تبارك وتعالى: هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتكموها؟ فيقولون: لا. غير أنا وددنا أنك أعدت أرواحنا فى أجسادنا حتى نقاتل مرة أخرى، فنقتل فى سبيلك)) رواه عن هناد، عن إسماعيل بن المختار، عن عطية عنه.

---

(١) آل عمران: ١٦٩، ١٧٠.

ثم ساق حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لما أصيب إخوانكم)).

ثم ذكر عن معمر، عن قتادة قال: بلغنا أن أرواح الشهداء فى صور طير بيض تأكل من ثمار الجنة.

ومن طريق أبى عاصم النبيل، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عبد الله بن عمرو: أرواح الشهداء فى طير كالزرازير، يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة.

قال أبو عمر: هذه الآثار كلها تدل على أنهم الشهداء دون غيرهم، وفى بعضها فى صور طير، وفى بعضها: فى أجواف طير، وفى بعضها: كطير خضر قال: والذى يشبه عندى- والله أعلم – أن يكون القول قول من قال: كطير أو صور طير لمطابقته لحديثنا المذكور يريد حديث كعب ابن مالك – وقوله: فيه نسمة المؤمن كطائر ولم يقل فى جوف طائر.

قال: وروى عيسى بن يونس حديث ابن مسعود، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله: كطير خضر.

قلت: والذى فى صحيح مسلم: فى أجواف طير خضر.

قال أبو عمر: فعلى هذا التأويل كأنما صلى الله عليه وسلم قال: ((إنما نسمة المؤمن من الشهداء طائر يعلق فى شجر الجنة)).

قلت: لا تنافى بين قوله صلى الله عليه وسلم: ((نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة)) وبين قوله: ((إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار)) وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد.

كما أن قوله: ((نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة)) يتناول الشهيد وغيره، ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى، ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها. وأما المقعد الخاص به والبيت الذى أعد له، فإنه إنما يدخله يوم القيامة، ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التى أعد الله لهم ليست هى تلك القناديل التى تأوى إليها أرواحهم فى البرزخ يعنى يوم أحد، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب مدلاة فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا أننا أحياء فى الجنة نرزق لئلا ينكثوا عن الحرب ولا يزهدوا فى الجهاد. فقال الله عز

وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1]. والحديث فى مسند أحمد وسنن أبى داود.

ثم ذكر حديث الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم فى جوف طير خضر تسرح فى الجنة فى أيها شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربك اطِّلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ فقال: وأى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن نرد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا، والحديث فى صحيح مسلم.

قلت: وفى صحيح البخارى عن أنس أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة – أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت: يا نبى الله، ألا تحدثنى عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غَرِب – فإن كان فى الجنة صبرت، وإن كان فى غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء، قال: ((يا أم حارثة إنها جنان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)).

ثم ساق من طريق بقى بن مخلد، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، ثنا ابن عيينة، عن عبيد الله بن أبى يزيد، سمع ابن عباس يقول: أرواح الشهداء تجول فى أجواف طير خضر تعلق فى ثمر الجنة.

قطعًا، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة، ويكون مستقرهم فى تلك القناديل المعلقة بالعرش، فإن الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة، ودخول الأرواح الجنة فى البرزخ أمر دون ذلك.

ونظير هذا أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدوًّا وعشيًّا، فإذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التى كانوا يعرضون عليها فى البرزخ، فتنعم الأرواح بالجنة فى البرزخ شىء وتنعمها مع الأبدان بها يوم القيامة شىء آخر، فغذاء الروح من الجنة فى البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث.

ولهذا قال: ((تعلق فى شجر الجنة)) أى تأكل العلقة، وتمام الأكل والشرب واللبس والتمتع فإنما يكون إذا ردت إلى أجسادها يوم القيامة، فظهر أنه لا يعارض هذا القول من السنن شىء وإنما تعاضده السنة وتوافقه.

---

(١) آل عمران: ١٦٩.

وأما قول من قال: إن حديث كعب فى الشهداء دون غيرهم، فتخصيص ليس فى اللفظ ما يدل عليه، وهو حمل اللفظ العام على أقل مسمياته، فإن الشهداء بالنسبة إلى عموم المؤمنين قليل جدًّا، والنبى صلى الله عليه وسلم علق هذا الجزاء بوصف الإيمان فهو المقتضى له ولم يعلقه بوصف الشهادة، ألا ترى أن الحكم الذى بالشهداء علق بوصف الشهادة، كقوله فى حديث المقدام بن معديكرب: ((للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له أول دفعة من دمه، ويرى مقعده، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجاز من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين. ويشفع فى سبعين إنسانٍ من أقاربه))[1].

فلما كان هذا يختص بالشهيد قال: إن للشهيد، ولم يقل إن للمؤمن.

وكذلك قوله فى حديث قيس الجذامى: ((يعطى الشهيد ست خصال))، وكذلك سائر الأحاديث والنصوص التى علق فيها الجزاء بالشهادة، وأما ما علق فيه الجزاء بالإيمان، فإنه يتناول كل مؤمن شهيدًا أو غير شهيد.

وأما النصوص والآثار التى ذكرت فى رزق الشهداء وكون أرواحهم فى الجنة، فكلها حق، وهى لا تدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة، ولا سيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلا نزاع بين الناس، فيقال لهؤلاء: ما تقولون فى أرواح الصديقين هل هى فى الجنة أم لا؟ فإن قالوا: إنها فى الجنة، ولا يسوغ لهم غير هذا القول، فثبت أن هذه النصوص لا تدل على اختصاص أرواح الشهداء بذلك.

وإن قالوا: ليست فى الجنة، لزمهم من ذلك أن تكون أرواح سادات الصحابة كأبى بكر الصديق، وأبى بن كعب وعبد الله بن مسعود وأبى الدرداء وحذيفة بن اليمان وأشباههم رضى الله عنهم ليس فى الجنة وأرواح شهداء زماننا فى الجنة وهذا معلوم البطلان ضرورة فإن قيل: فإذا كان هذا حكم لا يختص بالشهداء فما الموجب لتخصيصهم بالذكر فى هذه النصوص؟

قلت: التنبيه على فضل الشهادة وعلو درجتها، وأن هذا مضمون لأهلها ولا بد وأن لهم منه أوفر نصيب، فنصيبهم من هذا النعيم فى البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة منهم فله نعيم يختص به ولا يشاركه فيه من هو دونه.

ويدل على أن الله سبحانه جعل أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر، فإنهم بذلوا أنفسهم

---

(١) رواه ابن ماجه.

له صلى الله عليه وسلم حتى أتلفها أعداؤه فيه فأعاضهم منها فى البرزخ أبدانًا خيرًا منها تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من نعيم الأرواح المجردة عنها، ولهذا كانت نسمة المؤمن فى صورة طير أو كطير، ونسمة الشهيد فى جوف طير، وتأمل لفظ الحديثين فإنه قال: (نسمة المؤمن طير)، فهذا يعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: (هى فى جوف طير)، ومعلوم أنها إذا كانت فى جوف طير صدق عليها أنها طير، فصلوات الله وسلامه على من يصدِّق كلامه بعضه بعضا ويدل على أنه حق من عند الله وهذا الجمع أحسن من جمع أبى عمر وترجيحه رواية من روى أرواحهم، كطير خضر، بل الروايتان حق وصواب فهى كطير خضر وفى أجواف طير خضر.

بيان قول مجاهد: إن الأرواح ليست فى الجنة:

وأما قول مجاهد ليس هى فى الجنة، ولكن يأكلون ثمارها ويجدون ريحها فقد يحتج لهذا القول بما رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو، عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله: (الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية)، وهذا لا ينافى كونهم فى الجنة، فإن ذلك النهر من الجنة ورزقهم يخرج عليهم من الجنة: فهم فى الجنة وإن لم يصيروا إلى مقاعدهم منها، فمجاهد نفى الدخول الكامل من كل وجه والتعبير يقصر عن الإحاطة بتمييز هذا من هذا وأكمل العبارة وأدلها على المراد عبارة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عبارة أصحابه، وكلما علوت رأيت الشفاء والهدى والنور، وكلما نزلت رأيت الحيرة والدعاوى والقول بلا علم.

قال أبو عبد الله بن منده: وروى موسى بن عبدة بن عبد الله بن يزيد عن أم كبشة بنت المعرور قالت: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألناه عن هذه الأرواح فوصفها صفةً أبكى أهل البيت فقال: ((إن أرواح المؤمنين فى حواصل طير خضر ترعى فى الجنة، وتأكل من ثمارها، وتشرب من مائها وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش، يقولون: ربنا ألحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا، وإن أرواح الكفار فى حواصل طير سود تأكل من النار، وتشرب من النار وتأوى إلى جحر فى النار يقولون: ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا)).

وقال الطبرانى: حدثنا أبو زرعة الدمشقى، ثنا عبد الله بن صالح حدثنى معاوية بن صالح عن ضمرة بن حبيب، قال: سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أرواح المؤمنين، فقال: ((فى طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت))، قالوا: يا رسول الله، أرواح الكفار؟ قال: ((محبوسة فى سجين)) رواه أبو الشيخ عن هشام بن يونس عن عبد الله بن صالح، ورواه أبو المغيرة عن أبى بكر بن أبى مريم عن ضمرة بن حبيب.

وذكر أبو عبد الله بن منده من حديثٍ عن الثورى عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن معدان عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أرواح المؤمنين فى طير خضر كالزرازير تأكل من ثمر الجنة)).

ورواه غير موقوفًا، وذكر يزيد الرقاشى عن أنس وأبو عبد الله الشامى، عن تميم الدارى عن النبى صلى الله عليه وسلم: ((إذا عرج ملك الموت بروح المؤمن إلى السماء استقبله جبرائيل فى سبعين ألفًا من الملائكة، كل منهم يأتيه ببشارة من السماء سوى بشارة صاحبه، فإذا انتهى به إلى العرش خر ساجدًا فيقول الله عز وجل لملك الموت: انطلق بروح عبدى فضعه فى سدرٍ مخضود وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب)) رواه بكر بن خنيس، عن ضرار بن عمرو، عن يزيد وأبى عبد الله.

قول من قال: الأرواح على أفنية قبورها:

وأما قول من قال: الأرواح على أفنية قبورها: فإن أراد أن هذا الأمر لازم لا تفارق أفنية القبور أبدًا، فهذا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة من وجوه كثيرة، قد ذكرنا بعضها، وسنذكر منها ما لم نذكره – إن شاء الله – وإن أراد أنها تكون على أفنية القبور وقتًا، أو لها إشراف على قبورها وهى فى مقرها فهذا حق، ولكن لا يقال مستقرها أفنية القبور.

وقد ذهب إلى هذا المذهب جماعة منهم أبو عمر بن عبد البر قال فى كتابه شرح حديث ابن عمر: ((إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى)) وقد استدل به من ذهب إلى أن الأرواح على أفنية القبور، وهى أصح ما ذهب إليه فى ذلك من طريق الأثر، ألا ترى أن الأحاديث الدالة على ذلك ثابتة متواترة، وكذلك أحاديث السلام على القبور؟

قلت: يريد الأحاديث المتواترة مثل حديث ابن عمر هذا، ومثل حديث البراء بن عازب الذى تقدم وفيه: ((هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)).

ومثل حديث: أن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه: ((إنه ليسمع قرع نعالهم)).

وفيه: ((أنه يرى مقعده من الجنة والنار، وأنه يفسح للمؤمن فى قبره سبعين ذراعًا، ويضيق على الكافر)).

* * *